

قصة اللغة العربية (41) الإمام الكسائي - مقرئ القرآن الكوفي

الذي اعترض على البصريين

محمد صالح

السلام عليكم ورحمة الله اهلا بكم في حلقة مهمة من حلقات قصة اللغة العربية نتحدث فيها عن الرجل الذي ابتكر طريقة تفكير اخرى في النحو علي ابن حمزة الكسائي ونتحدث عن الدافع الذي جعله يخالف قواعد العلم التي كانت قد وضعت بالفعل في مدينة البصرة
- 00:00:03

هذه الحلقة مهمة وخاصة في الجزء الاخير منها عندما نحلل نظرة الكسائي للغة وهدفه من وضع علم النحو بهذه الطريقة ثم نقارنه بنظرة مدرسة البصرة لهذا اطلب منك ان تشاهدها للنهاية. خاصة قبل ان تعلق لاني لاحظت ان بعض المشاهدين يعلقون بسرعة
بمجرد - 00:00:29

رؤية العنوان. وقبل ان يشاهدوا محتويات الحلقة وهذه الحلقة مهمة بشكل خاص في حلقة لاحقة سوف نتكلم بامثلة كثيرة عن الاحكام التي اختلفوا فيها اما اليوم فسوف نحلل نظرته لعلم النحو - 00:00:54

الكسائي هو شيخ القراء ابو الحسن علي ابن حمزة ابن عبدالله ابن بهمن ابن فيروز فارسي الاصل ينتسب الى قبيلة اسد بالولاء ولد قريبا من الكوفة في سواد العراق سنة مائة وتسعة عشر للهجرة - 00:01:13

اما لقب الكسائي فالتصق به لانه ارحم في كساء كما قال بنفسه وقيل كان يرتدي كساء وهو يقرأ الناس القرآن وقيل كان يعمل في خياطة الاكسية في اول عمره المهم ان هذا اللقب التصق به تماما وغطى على اسمه - 00:01:38

يعرف الكسائي بشكل واضح كقارئ للقرآن وكواحد من اصحاب القراءات المتواترة ولكن له بصمة كبيرة في النحو بسبب العلاقة القوية بين قراءة القرآن واتقان اللغة كما سيأتي ويحكي عنه موقف يشبه ما حدث مع سيبويه في بداية حياته - 00:01:59

فقد اخطأ في العربية وهو يتحدث امام مجموعة من العرب الفصحاء يروى انه مشي مرة كثيرا حتى عي اي تعب فقال لقد عييت بتشديد الياء فاستهجن جماعة العرب هذا وقالوا تجالسنا وانت تلحم - 00:02:21

ان كنت اردت التعب فقل اعبييت. وان اردت انقطاع الحيلة والتحير في الامر فقل عييت. بالتخفيف فعزم على طلب العلم وبدأ وهو كبير في السن وفي هذا بيان للاشارة الى حرصهم على نقاء النطق العربي لدرجة استهجانهم عندما سمعوا كلمة خاطئة - 00:02:42

وكانت مدينة الكوفة من مراكز القراءات فثلاثة من اصحاب القراءات المتواترة كوفيون. وكان بها ابو حنيفة النعمان يدرس الفقه ولكنها تركت دراسة العربية حتى ذلك الوقت للبصرة الكسائي على دراسة القرآن - 00:03:05

فدرس في حلقات القراء مثل سليمان بن ارقم راوي الحسن البصري وابي بكر شعبة بن عياش وسفيان بن عيينة وقرأ على حفص الدوري وعلى الليث. ثم لزم حلقة حمزة بن حبيب الزيات فقرأ عليه القرآن اربع مرات - 00:03:25

كذلك اخذ العلم عن جعفر الصادق والاعمش وغيرهم وكما نرى ان علم الكسائي الاساسي هو قراءة القرآن الكريم ولكنه رأى انه لن يبرع في القراءة الا اذا برع في معرفة لغة العرب والاعراب - 00:03:46

وفي هذا قال تلميذه ومعاصره الفراء انه تعلم النحو على كبر ولزم معاذ الهراء حتى انفذ ما عنده ولزم ايضا حلقة ابي جعفر الرئاسي. وكان من اهل العربية في الكوفة ولم يجد عندهما ما يريد - 00:04:03

فذهب الى البادية وخالط العرب وفي النهاية ذهب الى اهل العربية من علماء البصرة واخذ يتنقل بين حلقات عيسى ابن عمر وابي

عمرو ابن العلاء ويونس ابن حبيب ثم التزم حلقة الخليل بن احمد الفراهيدي وهو شيخ العربية الاكبر - [00:04:22](#)

ولفت نظره كثرة حفظ الخليل للاشعار واقوال العرب. فسأله عن ذلك. كما ذكرت في حلقات الخليل فقال له من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فذهب الكسائي ايضا في رحلة اخرى طويلة. واخذ يكتب عنهم حتى افنى خمس عشرة قنينة حبر غير ما حفظ - [00:04:42](#)

ولكن ما اختلف فيه الكسائي عن الخليل انه لم يكتب فقط بهؤلاء الاعراب الفصحاء. بل اخذ من جميع العرب بمن فيهم العرب الذين لا يقبل بهم الخليل وهم المقيمون في الحضر والمخالطون للاجانب. وهذا سبب كل الاختلافات - [00:05:04](#)

فيما بعد وعندما عاد الى البصرة كان قد تمكن من لسان العرب. ورأى ان الخليل قد توفي وان يونس ابن حبيب اصبح صاحب الحلقة في مسجد البصرة فالتزم حلقة ولكنه كان يحاوره محاوره عالم لعالم - [00:05:23](#)

وشهد له يونس بسعة علمه ثم عاد الى مدينته الكوفة وقد ازداد علمه واستعمل علمه في قراءة القرآن الكريم. لان القرآن هو محور دراسته وسبب طلبه للعربية في الاساس فكان يقرئ الناس وهم يكتبون. ودعا صيته - [00:05:41](#)

وكان الكسائي رجلا وقورا وله هيئة عالم وحدث ان اراد الخليفة المهدي العباسي ايجاد مرب لابنه هارون الرشيد فاختر رجلا بان قال له كيف تأمر من السواك وقال استك يا امير المؤمنين - [00:06:02](#)

فلم يقبل به الخليفة وقال التمسوا لنا من هو افهم من ذا فقالوا هناك رجل يقال له علي ابن حمزة الكسائي من اهل الكوفة. قد قدم من البادية قريبا. فكتب الخليفة له يستجيب - [00:06:20](#)

فلما دخل عليه قال له المهدي يا علي بن حمزة كيف تأمر من السواك؟ فقال سك يا امير المؤمنين قال له احسنت واصبت. وامر له بعشرة الاف درهم. وان يكون مريبا لاولاده. هارون الرشيد وموسى الهادي - [00:06:36](#)

ولكن هارون الرشيد هو الذي اشتهر فيما بعد اصبح الكسائي مريبا لابناء الخليفة. وهكذا في ليلة وضحاها اصبح من عليا القوم وعندما توفي المهدي وتولى الحكم ابنه الرشيد بعد فترة عهد اليه بتأديب الامين والمأمون. واتخذ جليس - [00:06:56](#)

وصاحباً. وهكذا ازداد شأنه اكثر ورغم علمه الكبير كان يسبقه لسانه فيلحن احيانا في القراءة. روي مرة انه كان يصلي اماما بالخليفة هارون الرشيد فاعجبته قراءته فلحن لحنا لا يقع فيه طفل صغير - [00:07:18](#)

اراد ان يقول لعلمهم يرجعون فقال لعلمهم يرجعون قال الكسائي بعد ذلك فوالله ما اجترأ هارون ان يقول لي اخطأت. ولم يرد عليه في الصلاة ولكنه لما سلم قال لي يا كسائي اي لغة هذه؟ - [00:07:38](#)

فقلت يا امير المؤمنين قد يعثر الجواد وقال اما هذه فنعم وذكر الذهبي خبرا اخر روي في سير اعلام النبلاء عن خلف ابن هشام ان الكسائي قرأ على المنبر انا اكثر منك مالا بالنصب. فسأله عن - [00:07:57](#)

وصار في وجوههم فمحو الكلام. وقال لخلف يا خلف من يسلم من اللحن؟ ولا يطعن هذا في امامته ولا قوة لغته فقد ورد عن كثير من الائمة اخطاء مثل هذه. وكان من العلماء من يدري صناعة النحو ولا يقيم الاعراب صحيحا في كلامه - [00:08:16](#)

الذي ذكره الحافظ ابن كثير عن العلامة صدر الدين ابن المرحل قال انه كان يحفظ المفصل في النحو للزمخشري وكان مع ذلك يلحن ولعل السبب الاساسي في هذه الاخطاء هو زلات اللسان وتأثير اللهجات ومخالطة غير الفصحاء - [00:08:38](#)

العرب الاقدمون كانوا يتكلمون العربية السليمة سليقة بغير تفكير. اما بعد ذلك فالتاس يحتاجون الى الدراسة والى طول تدريب والتفكير قبل نطق الكلمات وكان يجلس بالجامع على مقعد مرتفع يقرأ الناس القرآن حتى صارت له قراءة مشهورة متواترة - [00:08:59](#)

وكان الرشيد يوقره ويصلي خلفه ومن الواضح ان قوة علاقته مع الخليفة قد جعلت له مكانة عالية اثرت فيما بعد في مواجهته لسيبويه سوف افرض حلقة خاصة لهذه المناظرة. ولكن لغرض هذه الحلقة اقول باختصار ان الكسائي وسيبويه اختلف - [00:09:22](#)

في اسلوب لغوي رفضه سيبويه وقال انه خطأ على الاصول التي وضعت في البصرة فيما قال الكسائي انه يجوز. واستشهد على ذلك باعراب يدعون عرب الحطمة يعيشون قب بغداد ولم يكن سيبويه او البصريون يعتبرونهم مصدرا للغة. لانهم يخالطون الاجانب منذ زمن طويل - [00:09:46](#)

ولكن يبدو ان مكانة الكسائي العالية اثرت عليهم فشهدوا بما يريد رغم ان الحق كان مع سيبويه. كما سنبين في الحلقة القادمة وهذه الحادثة تدعى الحادثة الزنبورية بعد هذه الحادثة بقليل توفي سيبويه - [00:10:12](#)

وذهب الاخفش الذي تكلمنا عنه في الحلقة الماضية غاضبا الى الكسائي فصرى خلفه في المسجد ثم جلس في حلقة. وكان تلاميذ الكسائي حوله. منهم الفراء والاحمر وابن سعدان سلم عليه الاخفش وسأله مسائل كثيرة - [00:10:32](#)

وكلما اجاب الكسائي خطأه الاخفش. قال الاخفش انه خطاه في نحو مائة مسألة فغضب تلاميذ الكسائي وهموا ان يفتكوا بالاخفش ولم يكونوا يعرفونه ولكن الكسائي كان رجلا عاقلا وله هبة فمنعهم - [00:10:52](#)

ثم قال له بالله انت ابو الحسن سعيد ابن مسعدة؟ فقال نعم فقربه وعانقه واجلسه بجواره ثم قال له لي اولاد احب ان يتأدبوا بادبك وان يخرجوا على يدك وتكون لي غير مفارق - [00:11:10](#)

اي ان الكسائي قد احتوى غضب الاخفش. خاصة بعد الموت المفاجى والمأساوي لسيبويه وهكذا درس الاخفش كتاب سيبويه الذي يحتوي علم الخليل وسيبويه للكساء كما درسه لغيره من الكوفيين وكما اوضحنا في الحلقة الماضية كان الاخفش كثير المخالفة لسيبويه - [00:11:28](#)

وربما يكون هذا ما حفز الكسائي لمتابعته وابتكار اسلوبه الخاص. وهو ما تطور فيما بعد الى النحو الكوفي ولا شك ان الكسائي هو المؤسس الحقيقي للنحو في الكوفة فان العلماء الذين كانوا قبله لم يتركوا علما كثيرا - [00:11:53](#)

وكانت المدينة تنشط في علوم اخرى اما النحو فكان حتى ذلك الوقت مركزا في البصرة وقد توفي الكسائي رحمه الله عندما كان في احدى الرحلات مع هارون الرشيد واصابه المرض هو وامام الفقه محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الامام ابي حنيفة - [00:12:12](#)

توفي كلاهما في نفس الرحلة ودفنهم الرشيد في مكان يسمى رمبويه قريبا من الري في اقليم فارس. وقال اليوم دفنت النحو واللغة والان اتكلم عن نقطة في غاية الاهمية توضح الفارق بين عقلية الخليل والبصريين من جهة وبين عقلية الكسائي - [00:12:34](#)

اذا كان الباعث الاول عند الخليل بن احمد مؤسس النحو في البصرة هو ضبط اللغة ليتكلم بها الناس بحيث لا يصيبها خلل فان الباعث الاكبر عند الكسائي هو قراءة القرآن على لهجات العرب المختلفة. لانه في الاصل قارئ للقرآن - [00:13:02](#)

لهذا كان يريد الحفاظ على كل اللهجات وان يعتبرها كلها صحيحة كي لا تعتبر بعض قراءات القرآن خاطئة وكان المصريون لا يعترضون على قراءات القرآن الكريم. ولكنهم لا يأخذون بلهجاتها عند وضع قواعد النحو. لتستقيم السنة - [00:13:21](#)

على ما شاع من كلام العرب اما الكسائي فربما خشي اندثار هذه اللهجات فاعتبرها جميعا صحيحة وعمل على توسعة قواعد النحو لتأخذ بها ايضا يمكن ان نعتبر الكسائي كجامع للتحف والنوادر. فهو يريد حفظ كل ما ورد عن العرب ولهجاتهم وما ترتب على - [00:13:41](#)

من قراءات وهذا امر جيد في قراءات القرآن. ولكن لا يمكن تطبيقه في النحو. لانه سيسبب اضطرابا هائلا وسيمنع ضبط القواعد كما سابين في حلقة النحو الكوفي فكل كلمة سيكون لها احكام كثيرة لا يمكن جمعها في قاعدة - [00:14:06](#)

لأنك لن تعدم بيتا ورد من هنا او هنا عن العرب يؤكد طريقة نطقك المختلفة لكل كلمة هذه النقطة مهمة جدا. وساعيدها لتثبت في ذهنك تعامل الكسائي مع شواد ونادر كلام العرب يختلف عن البصريين - [00:14:28](#)

اثبت البصريون شواد الكلام ولكنهم لم يستعملوها في النحو زكروها كطرق كلام لا تجوز فيما اثبتها الكسائي لاحتفاظ بالنادر من كلام العرب وحفظ اللهجات من الضياع واستعملها في اقرار قواعده - [00:14:49](#)

طريقة المصريين هي الطريقة العلمية في وضع القواعد التي يجب ان تكون شاملة ومحكمة. والا فلن تكون هناك قاعدة قاعدة تحكم الكلام اما طريقة الكساء فهي كجامع التحف والنوادر والموثق للشريد والغريب من اللغة - [00:15:07](#)

يريد ان يحافظ عليها. ولكن عندما استعملها في قواعد النحو سبب ذلك البلبلة وهناك نقطة اخرى ففي حين اكثر البصريون من التعديل المنطقي كما مر بنا كان الكسائي والكوفيون بوجه عام اقل اعتمادا منهم على هذا الاسلوب - [00:15:28](#)

فعندما اثير نقاش حول حالات بناء واعراب كلمة اي وحدث اختلاف معقد ونقاشات كالعادة سئل فيه الكسائي فقال ببساطة اي خلقت

هكذا علينا فقط ان نعرفها كما هي ولا حاجة بنا للتعليل - [00:15:51](#)

اي ان بعض الظواهر يصعب تفسيرها ويكفي ان نصف حدوثها وان نطقها كما نطقها العرب وبتطبيق هذه الفكرة البسيطة على المثال الذي اوردته في الحلقة الماضية عن الاخفش عندما اختلف مع سيبويه حول سبب عدم جر الفعل المضارع واتى كل منهم باسبابه المنطقية يمكن ان نقول ببساطة - [00:16:10](#)

اننا لا نحتاج اصلا الى معرفة سبب عدم جر المضارع كل ما نحتاجه هو التحدث به كما تحدث العرب متى نرفعه بشكل صحيح؟ ومتى ننصبه؟ ومتى نجزمه ولا نحتاج الى ان نعرف اسباب العلامات - [00:16:34](#)
فقط نحتاج الى ان نعرف كيف نطبقها بشكل صحيح ولكن الكسائي ايضا علل منطقيا في مواضع اخرى نتيجة دراسته للكتاب وتأثره بمنهج البصريين. ولكن بصورة اقل من غيره ولو اتبع الناس هذا الاسلوب من البداية لاختفى كثير من التعقيد من علم النحو -

[00:16:51](#)

على ان من تلاميذ الكسائي من اكثر من هذا الاسلوب الكلامي وخاصة تلميذه الفراء الذي كان متكلماً على طريقة الاعتزال واكثر من المنطق. كما سنرى عندما نتكلم عنه هذه هي الفكرة العامة وجوهر الاختلاف بين المدرستين واسبابه - [00:17:15](#)

ومع ان الخلاف بدأ حول طريقة استنباط الشواهد ولكنه اكتسب صورة المنافسة فيما بعد بسبب حرص كل مدينة على التفوق

وبسبب الوضع السياسي الذي كان متوترا بين المدينتين ولكن هذا هو الجوهر الاصلي - [00:17:36](#)

هكذا نكون قد تعرفنا على شخصية واسلوب الكسائي في اللغة العربية. وتأسيسه لطريقة تفكير جديدة والان استطيع الحديث في

الحلقة التي ينتظرها الجميع وهي احداث المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي - [00:17:54](#)

ثم ساتبها بحلقة عن خصائص النحو في الكوفة بوجه عام مع امثلة لانواع الخلافات شكرا لكم على متابعة هذه الحلقة لا تنسى ان

تضع علامة اعجاب وان تشترك معنا على القناة كي تتابع جزءا من تاريخ لغتنا العربية - [00:18:12](#)

واكتب التعليق الذي تراه مناسبا اسفل الحلقة شكرا لكم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - [00:18:32](#)